بحوث عدد (١)
المكتبة الإلكترونية المحكَّمة

# المعرفة اللغوية في نظرية طاشكبري زاده التصنيفية

## (التداخل والتكامل)

تأليف
د. فيصل الحفيان

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
معهد المخطوطات العربية
INSTITUTE OF ARABIC MANUSCRIPTS

النشر الإلكتروني باعتماد المعهد
السنة الأولى رجب ١٤٣٩هـ - إبريل ٢٠١٨م

بحوث عدد (١) - المكتبة الإلكترونية المحكَّمة

السنة الأولى - رجب ١٤٣٩هـ - إبريل ٢٠١٨م

الهيئة الاستشارية

إدهام محمد حنش (العراق).
عبد الحكيم الأنيس (سورية).
عبد الرزاق الصاعدي (السعودية).
عبد الله محمد المنيف (السعودية).
عمر خلوف (سورية).
غانم قدوري الحمد (العراق).
قاسم السامرائي (العراق).
هادي حسن حمودي (العراق).

المدير المسؤول ورئيس التحرير

فيصل الحفيان

أمانة التحرير

يوسف السناري

فريق العمل

إخراج فني: أكرم خضري.
أرشفة إلكترونية: أحمد منشاوي.
دعاية وإعلام: إقبال سامي أحمد.

حقوق النشر الإلكتروني محفوظة لمعهد المخطوطات العربية

turathuna@malecso.org

الأفكار الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المنظمة والمعهد.
يسمح بالنقل عن الكتاب بشرط الإشارة إلى ذلك.

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
معهد المخطوطات العربية
INSTITUTE OF ARABIC MANUSCRIPTS

# المعرفة اللغوية

# في نظرية طاشكبري زاده التصنيفية

## (التداخل والتكامل)

# المعرفة اللغوية
# في نظرية طاشكبري زاده التصنيفية
## (التداخل والتكامل)

د. فيصل الحفيان(*)

## ملخص البحث

لا شك أن القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي قد مَثَّل ذروة التفكير الإسلامي في بناء هيكل المعرفة الإسلامية، وتصنيف العلوم، ولا شك - أيضًا - أن طاشكبري زاده كان شاهد هذه الذروة. وقد توقف العديد من الباحثين عند هذه المحطة المفصلية في فكر هذا العالم العثماني الكبير، بيد أن ثمة وقفة خاصة يقفها هذا البحث، مع المعرفة اللُّغوية في هذا الهيكل التصنيفي للمعرفة، وتلك نقطة جديرة بالوقوف عندها، ذلك أنها مختلفة عن غيرها من المعارف الأخرىٰ، فإذا كانت المعارف الخطية والمنطقية والإلهية والطبيعية والحكمية والباطنية ظاهرة مستقلة مجتمعة في حيز واحد تحت دَوْحة من دَوْحات المعرفة كما

---

(*) مدير معهد المخطوطات العربية - القاهرة.

رسمها طاشكبري زاده، فإن المعرفة اللُّغوية ليست كذلك، فهي - من جهة - لم تظهر صريحة في عنوان الدَوْحة التي أدرجت تحتها، كما أنها - من جهة أخرىٰ - اختلطت مع علوم أخرىٰ اختلاطًا، هي في أدبياتنا الحديثة اليوم لا علاقة لها بالمعرفة اللُّغوية الخالصة، إنها تنتمي إلىٰ علوم أخرىٰ بعيدة تمامًا، مثل التاريخ والتراجم والفقه.

من هنا كان السعي للكشف عن هذه الرؤية الخاصة للمعرفة اللُّغوية عند طاشكبري زاده، وفي أثناء عملية الكشف هذه سنقع علىٰ تلك الدوائر المتداخلة من المعارف من وجهة نظره، وهو تداخل يصبُّ في مصلحة التكامل المعرفي الذي تمتَّعت به الرؤية الإسلامية في أوج نضجها وتألقها.

ولن يقتصر هذا السعي علىٰ الوصف والتحليل، بل سيتجاوزهما إلىٰ النظر المقارن مع بعض التصنيفات السابقة ذات الصلة، مما يضع رؤية طاشكبري زاده في مكانها الصحيح ومكانتها اللائقة في سياق الفكر التصنيفي الإسلامي للعلوم.

* * *

## على سبيل التمهيد

## المعرفة والوجود
## رؤيـــة مـــركَّبـة

تبدو رؤية طاشكبري زاده التصنيفية للمعرفة مختلفة - وإن اختلفت الدرجة - عن الرؤىٰ السابقة واللاحقة له، وذلك لعدَّة أسباب، منها أن الأُسس النظرية التي بنىٰ عليها وبسطها بسطًا في كتابه العظيم «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم»(١)، هي - أيضًا - مختلفة. وإن المعارف أو العلوم كلها عنده راجعة أو مرتبطة بمراتب الوجود الأربعة:

- الوجود الكتابي، أو الخطي.
- الوجود العباري، أو اللُّغوي.
- الوجود الذهني.
- الوجود العيني، أو الواقعي.

وهو وجود - في ما يرىٰ - ليس منفصلًا، بمعنىٰ أنه متراكب، كل نوع من أنواعه يُسلِّم إلىٰ الذي يليه؛ فالوجود الخطي دال علىٰ الوجود اللُّغوي، واللُّغوي دال علىٰ الذهني، وهذا الأخير دال علىٰ الواقعي(٢).

---

(١) صدر عن دار الكتب العلمية - بيروت، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، وهي التي اعتمدت في هذا البحث.

(٢) انظر: مفتاح السعادة ١/٧٥.

ولو عكسنا نَظْمَ طاشكبري زاده، فإن بالإمكان القول: إن الواقع، أو علم الواقع هو ثمرة عمل الذهن، وإن عمل الذهن لا يتحقق من دون العبارة، وتقييد العبارة إنما يكون بالخط الذي يحقق حفظ المعرفة وتراكمها. وبذلك تكتمل المنظومة المعرفية أو العلمية الإنسانية التي مَيَّز الله - تعالىٰ - بها الإنسان عن غيره من المخلوقات.

وإذا كان طاشكبري زاده قد قسم العلوم المرتبطة بهذه الوجودات إلىٰ سبع دَوْحات، وفرَّع من هذه الدَّوْحات شُعَبًا، ومن الشُّعَب عناقيد، أو مطالب أحيانًا، فإن هذه الدَّوْحات توزعت علىٰ أنواع الوجود (الوجودات) الأربعة علىٰ النحو التالي:

- الوجود الخطي : دَوْحَة واحدة.
- الوجود العباري : دَوْحَة واحدة.
- الوجود الذهني : دَوْحَة واحدة.
- الوجود العيني : أربع دَوْحات.

وقد يمكن أن نفسر رجحان كفة الوجود العيني، واختصاصها بأربع دَوْحات، بأن هذا الوجود - كما يقول طاشكبري زاده - هو الوجود الحقيقي الأصيل، علىٰ حين إن الوجودات الثلاثة الأخرىٰ مجازية، وإن كان مجاز الأولين قاطعًا، ومجاز الثالث (الذهني) فيه خلاف(١).

(١) مفتاح السعادة ١/٧٥.

علىٰ أن ثَمَّ عاملًا آخر غيرَ الحقيقة والأصالة في الوجود العيني يدعمه، وهو أن الوجودات الثلاثة إنما هي آلية بالنسبة له، فهو غايتها(١).

ولأنه وجود حقيقي (لا مجازي شأن الوجودات الآلية) فإن العلوم المتعلقة به قسمان: عملي، ونظري. والمراد بالعملي - كما يقول طاشكبري زاده - ذلك العلم الذي لا يُقْصَد به حصول نفسه، بل غيرِه. أما العلم النظري، فهو المقصود به نفسه لا غيرْه(٢).

ثم إن هذين العلمين (العملي والنظري) إما أن يكون البحث فيهما قائمًا أو مستندًا علىٰ الشرع، وهكذا تنشأ كل العلوم الشرعية، أو قائمًا أو مستندًا علىٰ العقل فنحن بإزاء العلوم الحِكْمية(٣).

وليس «مفتاح السعادة» الذي تجلَّت فيه نظرية طاشكبري زاده كتابًا في تصنيف العلوم فحسب، وإنما هو - إلىٰ ذلك - كتابٌ - أيضًا - في الببليوغرافيا، وفي التراجم، وفي التعليم، ولا أدل علىٰ ذلك من أنك يمكن أن تجرِّد منه قائمة طويلة في أسماء المصادر الأمهات في كل علم من العلوم، وأنك يمكن أن تستخرج منه قائمة أخرىٰ بأسماء المصنفين وتراجمهم، وأنك تراه قد صُدِّر بأربع مقدمات في العلم والتعليم وشروطهما، إضافة إلىٰ تلك التوجهات والأغراض التعليمية الكثيرة التي ينثرها في مطاوي الكتاب، علىٰ ذلك كله لا ينفي أن القيمة

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مفتاح السعادة ١/٧٥.

الأعلىٰ للكتاب إنما هي في كونه كتابًا في تصنيف المعرفة الإسلامية، يستند إلىٰ رؤية فلسفية ظاهرة في تقسيم العـلوم، ورؤية ببليوغرافية وتعليمية في التعريف بالكتب ومصنفيها، وهو بذلك يكون قد ربط بين الطريقة المنطقية العلمية والطريقة الببليوغرافية العملية؛ ليتوافق بذلك التصنيف النظري مع التعليم العملي(١).

(١) قارن مع ما جاء في: نظم تصنيف المعرفة عند المسلمين: دراسة تحليلية، ناهد محمد سالم، ص٢٧٠. وقد اعتمدتُ علىٰ هذه الدراسة في استعراض التصنيفات المختلفة واستخلاص ما يتعلَّق بالمعرفة اللُّغوية وإجراء الموازنات.

- ١ -

## تاريخ تصنيف المعرفة اللغوية

تأخر ظهور المعرفة اللُّغوية في الفكر التصنيفي الإسلامي حتىٰ العصر العباسي الثاني، وبالتحديد إلىٰ النصف الأول من القرن الرابع الهجري، وذلك مع الفارابي (ت٣٣٩هـ) وكتابه «إحصاء العلوم»، علىٰ الرغم من أن هذا الأخير مسبوقٌ باثنين:

**الأول**: جابر بن حيان (ت٢٠٠هـ) الذي يُعَد واضعَ أقدم تصنيف للعلوم في الحضارة الإسلامية، وقد ضاعت تصانيفه جميعًا، ولم يبق منها سوىٰ «السباعية» و«الحدود»، ومن حُسن الحظ أن تصنيفه، أو بالأحرىٰ تصنيفيه للعلوم، قد ظهرا فيهما.

**والثاني**: الكِنْدي (ت٢٥٢هـ)، ولم يكن حاله أحسنَ من سابقه، فقد ضاع أيضًا مؤلَّفاه في التصنيف «ماهية العلم وأصنافه» و«أقسام العلم الإنسي»، لكنا عرفنا تصنيفه من رسالته «كمية كتب أرسطو وما يُحتاج إليه في تحصيل الفلسفة». ولا شك أن غياب المعرفة اللُّغوية إنما كان تحت تأثير التقسيم اليوناني الأرسطي، والانسياق وراءه بعيدًا عن رصد الواقع المعرفي الإسلامي الجديد وما نتج عنه من معارف، منها العلوم اللُّغوية.

ظهرت المعرفة اللُّغوية إذن في «إحصاء العلوم» وكان ظهورًا بينًا، ثم عند الخوارزمي (ت٣٨٧هـ) والنديم (ق٤هـ) وكان من البدهي أن يغيب مع ابن سينا (ت٤٢٨هـ) ذلك أنه قصر تصنيفه علىٰ أقسام العلوم العقلية «رسالة في أقسام العلوم العقلية»، وكذلك حال النصير الطوسي (ت٦٧٢هـ) «فصل في أقسام الحكمة علىٰ سبيل الإيجاز».

وتعود المعرفة اللُّغوية للظهور في «إرشاد القاصد إلىٰ أسنىٰ المقاصد» لابن الأكفاني (ت٧٤٩هـ)، ثم عند ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) في مقدمته، والسيوطي (ت٩١١هـ) في شرحه لكتابه «النقاية» الذي سَمَّاه «إتمام الدراية لقراءة النقاية». وليس بوسعنا أن نتوقف عند تفصيلات التصنيف في هذه المؤلَّفات، وما ذلك لنا بقَصْد.

- ٢ -

## رؤية طاشكبري زاده للعربية ومعارفها

ينظر طاشكبري زاده إلىٰ العربية من جانبين: جانب الكتابة (الخط)، وجانب الصوت (اللفظ). ويكتسب الخط فضيلته من النقل والعقل، أما النقل فمن الآيات القرآنية الكريمة والسياقات العالية التي ورد فيها، وأما العقل فإنه هو المعبِّر عما يجول في الخاطر والعقل وما تدركه الحواس، ولذلك لا تستغني عنه أمَّة ولا دين، بل إنه هو الذي مَيَّز النوع الإنساني عن سائر الحيوان، وبه حُفظت العلوم واستمرت

وانتقلت الأخبار عبر الأزمنة والأمكنة وحُفظت الحقوق، وهو يُفهِم الحاضر والغائب، لذلك فُضِّل علىٰ اللفظ.

وأما اللفظ (اللُّغة المنطوقة) فإن الإنسان المدني بطبعه محتاج إلىٰ الإعلام عما في ضميره لغيره، ومحتاجٌ أيضًا إلىٰ فهم ما في ضمير الآخرين، ولذلك وهبه الله الأصوات وآلاتِها، فنشأت اللغات، وأفضل اللغات وأشرفها - في ما يرىٰ طاشكبري زاده - العربية، يقول: «إلا أن أفضلها وأعلاها اللُّغة التي خُصت بها أوسط الأمم، وهم خير أمَّة أخرجت للناس. وخير الأمور أوساطها. وقد نزلت عليها أشرف الكتب وأعلاها وأقومها وأدومها، أعني التنزيل الذي شرفه الله تعالىٰ بالبراءة من النسخ والتبديل، سيما وقد نطق بهذه اللُّغة أفضل الأنبياء وخاتمهم، وأشرفهم وفَصُّ خاتمهم». ثم إنه يثني علىٰ العربية في ذاتها موردًا في ذلك بأسلوب الاستفهام الإنكاري:

- هل اتَّصفت لغة غير هذه (العربية) بالبلاغة والإيجاز، وسحر الكتابة والإعجاز؟
- وهل اختص غيرُ هذه بفنون لو عُدَّ أشهرها لبلغت إلىٰ أربعين؟ وهل تَشَرَّف ما عداها بالتحدي حتىٰ فاق واحد علىٰ مئين؟
- وقل لي هل ظهرت العلوم منقحة بلغة أخرىٰ؟»[1].

(١) مفتاح السعادة ١/٨١، ٨٢.

يلفت في هذا النص في ما نحن بصدده أنه أشار إلى أن عدد أشهر فنون العربية أربعون فَنًّا.

- ٣ -

**منطق تصنيف المعرفة اللغوية**

في ما يتصل بالخط فإن المنطق العام لتصنيف ما عَبَّر عنه طاشكبري زاده بالعلوم الخطية يقوم على أن للكتابة أحوالًا وحركاتٍ وسكنات ونقطًا وضوابط (شدَّات ومدَّات) وتركيبًا وتسطيرًا. ومن مجموع هذه الأشياء تتكون الحروف والألفاظ التي تؤدي إلى معانٍ تحصل في الأذهان.

الكتابة إذن بإزاء الألفاظ، والألفاظ بإزاء المعاني، والمعاني بإزاء الأعيان أو الوجود الخارجي.

ولربما شَعَر طاشكبري زاده بأن أحدًا قد يتساءل: لماذا لا تكون الكتابة رأسًا بإزاء الأعيان؟ يريد بلا وسيط هو الألفاظ، وأيضًا لماذا لا تكون رأسًا بإزاء ما في الأذهان؟

وقد رَدَّ الأول بالقول: لئلا يلزم عدم فهم الألفاظ من الكتابة؛ إذ لا يلزم من الدلالة على المدلول الدلالة على دوالِّه، في حين إن الوضع بإزاء

الألفاظ، بخلاف ما إذا وضع بإزاء الألفاظ؛ إذ يلزم من الدلالة على الدال الدلالة على مدلوله[١].

ورَدَّ الثاني بأمرين: الاعتياد للمفكِّرة بتخيُّل الألفاظ عند تصوُّر المعاني حتىٰ كان المفكر يُناجي نفسه بألفاظ يتخيلها عند الفكر، ولعُسْر الانتقال حينئذ إلىٰ اللفظ؛ إذ الانتقال من المدلول إلىٰ الدال أصعب من عكسه. واستدلَّ بأن إنشاء الألفاظ بإزاء ما في النفس من المعاني أشقُّ عند النفس من فهم المعاني من الألفاظ[٢].

أما في ما يتصل بالألفاظ (اللُّغة المنطوقة) فإن المنطق يقوم علىٰ أن هناك أصواتًا تنشأ من التَّفَس العارض للحيوان تتميز من بعضها بمخارجها وصفاتها، ومنها تتركب كلماتٌ تدل علىٰ معانٍ خفية في الضمائر، وهذه الكلمات هي التي تنقل ما في الضمائر إلىٰ الآخرين، وبها تُستفاد المعارف والعلوم.

إذا استقرت هذه القواعد العامة أو - بحسب عبارته - تَمَهَّد هذا التصوير، فإن العربية بوصفها لغة من اللغات تحتاج إلىٰ أن تتميز من غيرها بمعارف تبحث في:

- بيان كميات حروفها وكيفياتها بحسب المخارج.
- أحوال تركيباتها بحسب اشتقاق بعضها من بعض.

(١) مفتاح السعادة ٨٢/١.

(٢) المصدر السابق.

- أحوال وضع الكلم للمعاني العقلية.
- تبديل الحروف الأصول أو الزائد، بعضِها إلىٰ بعض؛ لتحصيل الخفة.
- كيفية إعراباتها.
- تطبيقها لمقتضىٰ الحال وإيرادها بعبارات جلية.
- رعاية المحسنات ورغبة الأسماع في الانفتاح لها.
- معرفة أحوال الخطوط الدالة عليها[1].

- ٤ -

## الخطة التصنيفية للمعرفة اللغوية

يمكن أن نقول إن طاشكبري زاده خص المعرفة اللُّغوية (موضوع البحث) بدَوْحتين، وإن لم يصرح بعنوان «العلوم اللُّغوية». نقول هذا مع الاحتراز بأنه قد لا يكون اتفاق علىٰ ما تضمنه الدَّوْحتان من علوم أصلية وفرعية، وما يمكن أن تخضع له هذه العلوم من معالجات تجعلها ترتحل إلىٰ علوم أخرىٰ.

الدَّوْحة الأولىٰ خاصةٌ بما أسماه «العلوم الخطية»؛ إذ من المعلوم أن الخط وما يتصل به ينتمي في تقليدنا التراثي إلىٰ علوم اللُّغة، ذلك أنه -

(١) مفتاح السعادة ٨٩/١.

علىٰ وجهٍ ما - هو الصورة المرئية للغة، وقد نظم بعضهم علوم اللُّغة العربية في بيتين: [من البسيط]

نحوٌ وصرفٌ عروضٌ ثم قافيةٌ وبعدها لغـةٌ قرضٌ وإنشـاءُ

خطٌّ بيـانٌ معـانٍ مع محاضرةٍ والاشتقاقُ لها الآدابُ أسـماءُ

والدَّوْحة الأخرىٰ للألفاظ، سواء كانت مفرداتٍ، أو مركَّبات للمفردات، ولفروع العلوم العربية، علىٰ حَدِّ تعبيره.

وترتيب هاتين الدَّوْحتين ضمن منظومة الدَّوْحات: الأولىٰ والثانية، ليس لأنهما أهمُّ من غيرهما، ولكن لأنهما والدَّوْحة الثالثة (العلوم الباحثة عما في الأذهان من المعقولات) آلاتٌ للدَّوْحات الأربعة التالية (العلم المتعلق بالأعيان، والحكمة العملية، والعلوم الشرعية، وعلوم الباطن).

وقد جاءت دَوْحة العلوم الخطية، في مقدمة - كما سلف - وشعبتين، الأولىٰ منهما للعلوم المتعلقة بكيفية الصناعة الخطية، وتحتها خمسة علوم لأدوات الخط، وقوانين الكتابة، وتحسين الحروف، وكيفية تولُّد الخطوط عن أصولها، وترتيب حروف التهجي. والثانية تتعلق بإملاء الحروف المفردة، وتحتها أربعة علوم لتركيب أشكال بسائط الحروف، والإملاء، وخط المصحف، وخط العروض.

أما دَوْحة العلوم المعلقة بالألفاظ، فقد انتظمت مقدمةً - كالعادة - وثلاث شُعب:

**الأُولىٰ** للمفردات، وفيها خمسة علوم لمخارج الحروف، واللُّغة، والوضع، والاشتقاق، والصرف.

**والثانية** للمركَّبات، وانتظمت اثني عشر عِلمًا: النحو، المعاني، والبيان، والبديع، والقوافي، وقرض الشعر، ومبادئ الشعر، والإنشاء، ومبادئ الإنشاء وأدواته، والمحاضرة، والدواوين، والتواريخ.

**والثالثة** لفروعِ العلوم العربية، وفيها ثلاثة وعشرون عِلمًا للأمثال، ووقائع الأمم ورسومهم، واستعمالات الألفاظ، والترسُّل، والشروط والسجلات، والأحاجي والأغلوطات، والألغاز، والمُعَمَّىٰ، والتصحيف، والمقلوب، والجناس، ومسامرة الملوك، وحكايات الصالحين، وأخبار الأنبياء، والمغازي والسِّيَر، وتاريخ الخلفاء، وطبقات القراء، وطبقات المفسرين، وطبقات المحدِّثين، وسِيَر الصحابة والتابعين، وطبقات الشافعية، وطبقات الحنفية، وطبقات المالكية، وطبقات الحنابلة، وطبقات النحاة، وطبقات الحكماء، وطبقات الأطباء.

وعليه يكون إجمالي العلوم في الدَّوْحتين بشعبهما الخمسة، أربعة وأربعين عِلمًا، وكان طاشكبري زاده قد ذكر - بحسب عبارته - في مقدمة الشُّعبة الثانية في سياق ثنائه علىٰ العربية: «وهل اختص غير هذه بفنون لو عُدَّ أشهرها لبلغت إلىٰ أربعين» فلعله تجاوز واكتفىٰ، ولم يُرد العَدَّ الدقيق.

ويبدو ترتيب الدَّوْحتين منطقيًّا، فهما أولىٰ الشُّعَب، علىٰ شرطه، وإنما حظيت الأولىٰ (دَوْحة العلوم الخطية) علىٰ تاليتها (دَوْحة علوم

الألفاظ)؛ لأنها - إضافة إلىٰ كونها دالَّة عليها - أفضل منها، علىٰ ما سلف.

ثم إن الشُّعبة الأولىٰ من الدَّوْحة الأولىٰ قُدِّمت لأنها أعم؛ إذ هي لعلوم الصناعة، علىٰ حين إن تاليتها أخص؛ إذ تتعلق بتركيب الحروف وإملائها وخطوط مخصوصة.

أما الدَّوْحة الثانية فقد كان ترتيب شُعبها معكوسًا؛ إذ بدأ بالعلوم المتعلقة بالحرف والكلمة، وأخَّر العلوم المتعلقة بالكلمات المجتمعة (التراكيب)، ولوحظ أن في هذه المؤخرة علمين، هما: علم الدواوين وعلم التواريخ.

وأما الشُّعبة الثالثة المسمَّاة «فروع العلوم العربية»، فإن عليها ملاحظاتٍ في اسمها، وفي بعض العلوم التي احتوتها.

- ٥ -

## نقد التصنيف

ما قصدتُ بهذا العنوان ذكر المآخذ فحسب؛ إذ لا شك أن تصنيف طاشكبري زاده - كما ذكرتُ في مطلع البحث - يُعَدُّ ذروة التفكير الإسلامي في العلوم حصرًا وتقسيمًا وترتيبًا، لكن ذلك لا يعني ألا

تكون عليه مآخذ. ولما كانت نقطة البحث هي المعرفة اللُّغوية فحسب، فسنقتصر عليها، إلا عرضًا.

## ١/٥: الأُسس النظرية

انفرد طاشكبري زاده - في ما رأيت - بربط المعرفة بالوجود ومراتبه، ومَن يستعرض سابقيه بدءًا من جابر بن حيان حتىٰ الشرواني (ت١٠٣٦هـ)، والقنوجي (١٣٠٧هـ)، لا يجد هذا الربط، فجابر يقيم تصنيفه علىٰ أساس الدين والدنيا؛ والكِنْدي علىٰ أساس الإنسان والله؛ والفارابي علىٰ الموجودات وعلاقتها بالإنسان من حيث قدرتُه علىٰ فعلها ... إلخ؛ والخوارزمي الذي يعتمد مبدأ الوسائل والمقاصد مجردًا ... إلخ. علىٰ أن الربط؛ ربط المعرفة بالوجود، تضمَّن عند طاشكبري زاده - كما سلف - أن المعارف الرئيسة التي تُمَثِّلها الدَّوْحات آلاتٌ ووسائلُ لبعضها، ولكن بناءً علىٰ المرتكز الأساس (الوجود) فتعلُّقها مكتسَب من علاقات أنواع الوجود ببعضها، قبل أن تكون لذاتها؛ من هنا كان الاختلاف عن الخوارزمي مثلًا.

في ما يتصل بالمعرفة اللُّغوية تحديدًا استقام الأساس النظري العام، فالخط وسيلة ضبط اللفظ، لذلك قُدِّم، علىٰ هذا الأساس.

وما كان يمكن التطبيق علىٰ العلوم نفسها، فداخل العلوم الخطية ما اضطرد تقديم علوم علىٰ أخرىٰ؛ لأنها وسائل وضوابط لها، سواء كانت مجموعاتٍ مندرجةً تحت الشُّعَب أو العناقيد أو الأصول، أو كانت فرادىٰ،

فقد يكون الأظهر في ترتيبها مسألةَ الجزء والكل، كما في تقديم شُعبة المفردات علىٰ المركَّبات، والأصل والفرع، كما في تقديم شُعبتي المفردات والمركَّبات علىٰ شُعبة فروع العلوم العربية.

### ٢/٥: الترجمات

تُعَدُّ ترجمة (عنوان) الدَّوْحة الأولىٰ (العلوم الخطية) ترجمة جديدة لم يُسْبَق إليها، فمع طاشكبري زاده تكرس مفهوم العلوم الخطية بدلًا من علم الخط.

وعلىٰ كلٍّ فإن ما يتصل بالخط ظهر عند الفارابي علىٰ أنه جزء من علم اللسان، تحت ترجمتين: علم قوانين الكتابة، وعلم قوانين تصحيح القراءة. وعند إخوان الصفا (ق٤هـ) الترجمة قريبة: القراءة والكتابة، وليس تحتها شيء، وهي مصنَّفة تحت العلوم الرياضية أو علم الآداب التي نظروا إليها من جهة أنها لطلب المعاش وصلاح الدنيا[١]. وعند ابن الأكفاني جزء من علم الأدب، وله ترجمتان كما عند الفارابي: قوانين الكتابة، وقوانين القراءة. أما عند ابن خلدون فليس له مكانٌ أصلًا في تصنيفه !

في ما يتعلق بترجمة عنوان الدَّوْحة الثانية، بشعبتيها الأوليين ليست جديدة؛ إذ ظهر عند الفارابي علم الألفاظ المفردة، وعلم الألفاظ المركَّبة، وعلم قوانين الألفاظ المفردة، وعلم قوانين الألفاظ المركَّبة.

---

(١) رسائل إخوان الصفا ١٠١.

أما الشُّعبة الثالثة (علم فروع العلوم العربية) فإن لنا عليها كلامًا نؤجله إلى موطنه.

## ٣/٥: العلوم اللُّغوية

### ١/٣/٥: الحصر والاستقصاء

يبدو من النظر الأَولي في العلوم التي احتوتها دَوْحتا المعرفة اللُّغوية عند طاشكبري زاده أنه قد تمكَّن من إقامة بنيان هيكلي ثري ومُحْكَم؛ فإذا كانت العلوم الخطية عنده قد بلغت تسعة علوم، فإنها لم تجاوز عند الفارابي علمين؛ وعند ابن الأكفاني كذلك؛ وعند السيوطي سبعة. وبالطبع فإننا لن نتوقف عند التصنيفات التي لم تذكر أصلًا عِلْم الخط، ومنها تصنيف ابن خلدون مثلًا.

أما بشأن الدَّوْحة الثانية (علوم الألفاظ المفردة والمركَّبة وفروع العلوم العربية) فإن من الصعب إجراءَ موازنة بينها وبين نظائرها في التصنيفات السابقة؛ ذلك أن فيها علومًا لا تندرج تحت المعرفة اللُّغوية مَشْغَلةِ البحث. وعلى كلٍّ فإنَّ عدد العلوم فيها كبير كما أشرنا من قبل، غير أننا إذا ما أزلنا الحواجز الخاصة بالشُّعَب، وركزنا على ما يمكن إدراجه تحت المعرفة اللُّغوية، فإننا سنجد أن العدد هو - في رأينا - أربعةٌ وعشرون عِلْمًا: مخارج الحروف، اللُّغة، الوضع، الاشتقاق، الصرف، النحو، المعاني، البيان، البديع، القوافي، قرض الشعر، مبادئ الشعر، الإنشاء، مبادئ الإنشاء وأدواته، المحاضرة، الأمثال، استعمالات

الألفاظ، الترسُّل، الأحاجي والأغلوطات، الألغاز، المُعَمَّىٰ، التصحيف، المقلوب، الجناس.

ولو عقدنا موازنة جزئية بينه وبين الفارابي مثلًا، فسنجد أن عدَّة علوم اللسان الرئيسة عند هذا الأخير لم تتجاوز خمسة علوم، علىٰ حين بلغت عند طاشكبري زاده سبعة عشر علمًا، منها اثنان خاصَّان بالخط والكتابة، فعددها - إذن - خمسة عشر.

وموازنة أخرىٰ مع ابن الأكفاني، فقد رأينا العدد ثمانية. وفي هاتين الموازنتين الكميتين - علىٰ عجل - إشارة واضحة إلىٰ علو كعب تصنيف طاشكبري زاده.

وموازنة ثالثة مع السيوطي الذي نظم المعرفة اللُّغوية - ما عدا الخط - تحت خمسة علوم: النحو، والتصريف، والمعاني، والبيان، والبديع، بيد أنه فَرَّع عن هذه العلوم الرئيسة موضوعات بلغت ثلاثة وأربعين. ويمكن وصف التفريعات بأنها موضوعات أكثر منها علومًا؛ فقد جعل - علىٰ سبيل المثال - تحت علم المعاني مثلًا: المسند إليه، والمسند؛ وتحت علم التصريف: المصدر، والزيادة، والحذف ... إلخ.

### ٢/٣/٥: الجِدَّة والتداخل والتكامل

لعل من جديد طاشكبري زاده في تصنيف المعرفة اللُّغوية أنه خَصَّ الشعر بعلمين: علم قرض الشعر، وعلم مبادئ الشعر وأدواته، وفرَّق بينهما بأن الأول باحثٌ في أحوال الكلمات الشعرية من حيث الحُسن

والقُبح، والثاني باحث عن مقدمات تخييلية يحصل منها الترغيب والترهيب وتختلف من قوم إلىٰ قوم[1]. علىٰ حين انشغل المصنفون السابقون الذين رصدوا الشعر بجوانبه المتصلة بأوزانه وقوافيه[2]، أو أجناس أعاريضه، وألقاب علله وزحافاته، ونقده[3]، علىٰ أن الموضوعية تقتضي بأن الفارابي قد ذكر ضمن فروع علم الأشعار: ما يصلح أن يستعمل في الأشعار من ألفاظ عندهم مما ليس يستعمل في القول الذي ليس بشعر، لكنه لم يُسَمِّه التسمية المحكَّمة، ولم يجعله عِلمًا مستقلًّا.

وأدرج طاشكبري زاده علمين ضمن الدَّوْحة الثانية، هما: علم الوضع في شُعبة المفردات، وعلم الشروط والسجلات في شُعبة فروع العلوم العربية.

أما علم الوضع فهو - كما قال - «باحث في تفسير الوضع، وتقسيمه إلىٰ الشخصي والنوعي والعام والخاص، وبيان حال وضع الذوات والهيئات»[4]. وتعريفه هذا نصٌّ في أنه يراه علمًا له موضوع وغاية ومنفعة، لكنه - علىٰ حَدِّ تعبيره - «لم يُدَوَّن بعد». والرجل متحمِّس للغاية لهذا العلم حتىٰ إنه يقول: «لئن وقع في الأجل فُسحة، وساعدني التوفيق لَأَنتصب في إيفاء هذا العلم حقه».

---

(١) مفتاح السعادة ١/٢٠٤.

(٢) كما عند الفارابي في إحصاء العلوم.

(٣) كما عند الخوارزمي في مفاتيح العلوم.

(٤) مفتاح السعادة ١/١٢٥.

وقد استعرضتُ الكثير من كُتب تصنيفات العلوم، فلم أجد مَنْ أَفرده ورَصده في تصنيفه.

وأما علم الشروط والسجلات فهو - أيضًا - مما لم أجد مَنْ أَفرده ورَصده، وقد كانت رؤية طاشكبري زاده له ناضجة، فهو من جهة لفظه من فروع علم الإنشاء، ومن جهة مدلوله من فروع علم الفقه. وقد نظر بعض الباحثين إلىٰ ذلك علىٰ أنه نوع من التكرار[1]. والحق أن ذلك لا يؤخذ عليه، بل يحسب له؛ إذ يمكن للعلم أن يتعلق بحقلين معرفيَّيْن مختلفين بحسب الجهة التي يُنْظَر إليه فيها، ولا أظن أن ذلك كان منه سهوًا أو خطأً، فقد كان واعيًا بذلك كما تدل عبارته، علىٰ أن هذا العلم ليس وحده، فقد رصد في الدَّوْحة الثانية علم مخارج الألفاظ علىٰ أنه فرع لعلم الألفاظ، ثم ذكره مرة أخرىٰ في الشُّعبة الثانية من الدَّوْحة السادسة (العلوم الشرعية) ضمن فروع علم القراءة.

إن هذا التعدد هو نوعٌ من الرؤية الثاقبة التي تنظر إلىٰ العلم من جهات عدَّة، ولا أدل علىٰ ذلك من أنه عندما رصد علم مبادئ الإنشاء وأدواته في الدَّوْحة الثانية عرَّفه بالقول إنه: «علم باحث عما يحتاج إليه المنشئ من الخط والعربية والعلوم الشرعية والتواريخ وما يناسب ذلك»[2].

---

(١) انظر: نظم تصنيف المعرفة ... ٣١٢.

(٢) مفتاح السعادة ٢٠٨/١.

### ٣/٣/٥: فروع العلوم العربية

كنت أشرت إلىٰ ملحوظة علىٰ هذه الترجمة، لكن أهم من ذلك وأخطر هو أن هذه الفروع شملت إلىٰ جانب العلوم التي يمكن حقًّا أن تندرج تحت الدَّوْحة الثانية (العلوم المتعلقة بالألفاظ) علومًا لا علاقة لها بالألفاظ إذا ما نظرنا إلىٰ أنَّ الألفاظ من حيث هي ألفاظ هي موضوع المعرفة اللُّغوية وقد ذكر منها ما ذكر. أما علومٌ مثل وقائع العلوم ورسومهم ومسامرة الملوك وحكايات الصالحين وأخبار الأنبياء وطبقات القراء والمفسرين ... إلخ، فالألفاظ فيها ليست موضوعًا، وإلا فإن كل العلوم تتجلىٰ عبر الألفاظ.

وما اقتصر الأمر علىٰ شُعبة فروع العلوم العربية (الدَّوْحة الثانية) ففي الشُّعبة الثانية للدَّوْحة نفسها ضُمَّ إلىٰ علم النحو والمعاني والبيان ... علم التواريخ !

ويبدو أن هذه الشُّعبة المقحمة لم تحظ باهتمام طاشكبري زاده، فقد اكتفىٰ بذكر ترجمات العلوم الرئيسة، ولم يفرِّع منها، كما فعل ابن خلدون وقبله ابن الأكفاني، علىٰ الرغم من أن هناك رصيدًا غنيًّا في تصنيفها، فهذا السيوطي يدرج تحت علم المعاني ثمانية فروع، وتحت علم البديع ثمانية عشر فرعًا !

**خلاصة**

تشغل المعرفة اللُّغوية مكانًا في البناء النظري الذي أقامه طاشكبري زاده للعلوم الإسلامية، بيد أنها لا تندرج تحت عنوان صريح وشامل، كما أنها متداخلة ومتشابكة مع غيرها من المعارف التي لا علاقة لها بها في الرؤية العصرية للعلوم اليوم، ويهدف هذا البحث إلىٰ استكشاف موقع هذه المعرفة، كما يهدف إلىٰ ربطها بالمعارف الأخرىٰ التي توزَّعت علىٰ دَوْحاتِ المعرفة الإسلامية عامَّة، لبيان مدىٰ عمق النظرة الإسلامية للمعرفة في تنوعها وتكاملها.

ولا يقتصر البحث علىٰ الوصف والتحليل، إنما يتجاوزهما إلىٰ النظر المقارن مع بعض التصنيفات السابقة، مما يضع رؤية طاشكبري زاده في مكانها اللائق الصحيح في سياق الفكر التصنيفي الإسلامي للعلوم.

## على سبيل الختام

قال حاجي خليفة ممتدحًا تصنيف طاشكبري زاده: «إنه أحسن الجميع»[1]. يريد التصانيف التي سبقته، على أن ذلك لم يمنعه من نقده، وكذلك فعلنا في ما اشتغل به هذا البحث من المعرفة اللُّغوية في تصنيفه.

والله - تعالى - من وراء القصد.

*

(١) كشف الظنون ١٤/١.

# أهم المصادر والمراجع

-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، ط. مكتبة المثنى – بغداد، ١٩٤١م.

-مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لطاشْكُبْري زَادَهْ، ط١. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥ م.

-نظم تصنيف المعرفة عند المسلمين: دراسة تحليلية، لناهد محمد سالم، ط ١. دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

## المحتويات

- علىٰ سبيل التمهيد
المعرفة والوجود
رؤية مركَّبة
١: تاريخ تصنيف المعرفة اللُّغوية
٢: رؤية طاشكبري زاده للعربية ومعارفها
٣: منطق تصنيف المعرفة اللُّغوية
٤: الخطة التصنيفية للمعرفة اللُّغوية
٥: نقد التصنيف
١/٥: الأُسس النظرية
٢/٥: الترجمات
٣/٥: العلوم اللُّغوية
١/٣/٥: الحصر والاستقصاء
٢/٣/٥: الجِدَّة والتداخل والتكامل
٣/٣/٥: فروع العلوم العربية
- خلاصة
- علىٰ سبيل الختام

* * *

INSTITUTE OF ARABIC MANUSCRIPTS

٢١ شارع المدينة المنورة، محيي الدين أبو العز، المهندسين. القاهرة ـ مصر.

ص.ب: ٨٧ الدقي ـ ج.م.ع

www.malecso.org